(٣٢) أحمد بن أبي الحواري[١]

ذكر أبي الحسن أحمد بن أبي الحواري رحمة الله عليه:

كان رحمه الله وحيدَ عصره، وفريدَ وقته، عالمًا في جميع الفنون ولا سيّما في علم الطريقة وفي علم الحقيقة وكشفَ الدقائق مُعتبرًا، ذا شأنٍ عظيم، وفي روايةِ الحديث مَرجعًا إليه مقتدى.

وكان من أكابرِ مشايخ الشام، حتى كان الجُنيد رحمه الله يقول: أحمد بن أبي الحواري ريحانة أهل الشام.

صحب أبا سُليمان الداراني، وسفيان بن عيينة.

وكان لكلامه أثرٌ عظيمٌ في القلوب.

وكان رحمه الله في الابتداءِ مَشغولاً بتحصيل العلوم إلى أن بلغَ منها إلى درجةِ الكمال، ثم أخذ الكتبَ التي له، وذهبَ بها إلى الساحل، وقال: نعم الدَّليلُ ما في هذه الكتب؛ لكن بعد الوصول إلى المقصودِ يَمتنعُ الاشتغالُ بالدَّليل. وألقى الكتبَ في البحر، وحصلَ له بسبب ذلك ألمٌ[٢] عظيم. وقال بعضُ المشايخ: إنه كان في وقتِ السُّكر دون الصحو.

نقل رحمه الله عهدَ أن لا يُخالفَ شيخَه أبا سليمان أبدًا، فكان الشيخُ يومًا

---

(١) الجرح والتعديل ٢/ ٤٧، الثقات لابن حبان ٨/ ٢٤، طبقات الصوفية ٩٨، حلية الأولياء ١٠/ ٥، الرسالة القشيرية ٦٤، طبقات الحنابلة ١/ ٧٨، مناقب الأبرار ٢٩٣، صفة الصفوة ٤/ ٢٣٧، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٢٩١، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٢، تهذيب الكمال ١/ ٣٦٩، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٨٥، مرآة الجنان ٢/ ١٥٣، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٨، طبقات الأولياء ٣١، تهذيب التهذيب ١/ ٤٩، نفحات الأنس ٩٩، طبقات الشعراني ١/ ٨٢، الكواكب الدرية ١/ ٥٣٤، شذرات الذهب ٢/ ١١٠.

(٢) في (ب) وحصل له بذلك السبب ألم.

مُستغرقًا في حالٍ، فقال له أحمد، ولم يكن له خبرٌ عن حاله: يا سجرة التنور[١]، بماذا تأمرُ؟ فلم يُجب، وأعاد ثانيًا، وثالثًا إلى أن قال الشيخُ رحمه الله: ادخلْ فيها، واجلس. ففعل كذلك أحمد، فلمّا مضى بعضُ الزمانِ طَلبهُ أبو سليمان، قالوا: لا نعلم. فتذكَّرَ الشيخُ ما قال، وقال: انظروا في التنور؛ فإنَّ له عهدًا أن لا يُخالفني قطُّ. نظروا في التنور، فوجدوه فيها، ولم يحترقْ عليه شعرة[٢].

نقل أنه قال رحمه الله: رأيتُ في المنام جاريةً في غاية البهاءِ والحُسن والجمال، قلت لها: أنت في غايةِ الجمال، ولك وجهٌ وضيءٌ! قالت: وضاءةُ وجهي وحسني منك. قلت: كيف؟ قالت: لا تذكرُ يا أَحمد أنك بكيتَ في الليلة الفلانية، فأخذتُ دموعَكَ ومسحتُ بها وجهي، فصار كما ترى[٣].

وقال: لا تصحُّ التوبةُ إلاّ بعد الندم بالقلب، والاستغفارِ باللسان، والخروجِ عن عهده المظالم، ولا يُمكنه ذلك إلاّ بعد الاجتهادِ في العبادة، فحينئذٍ ينشأُ من التوبة الاجتهادُ والزهد والصدق، ومن الصدق التوكّل، ومن الاستقامةِ المعرفة، ثم بعد ذلك يظهرُ الحياء، ثم الخوفُ من المكر والاستدراج[٤]، وفي الجملة لا تزول هذه الأحوال عن القلب مخافةَ أن يخلوَ القلبُ عنها، ويَتخلّفَ عن لقاء الله تعالى.

قال: مَنْ عرفَ ما ينبغي له أن يخاف عنه سهلَ عليه الابتعادُ والانتهاء عمّا نهي عنه.

و: من كان أعقلَ فهو بالله أَعرفُ، ومن هو بالله أَعرفُ يصلُ إلى المقصد بالعجلة[٤].

---

(١) في الأصلين: سا شجرة. وفي الكواكب الدرية ١/ ٥٣٥: وقال: يا سيّدي، التنوّر قد سُجر، فما تأمر.

(٢) قال الذهبي في السير ١٢/ ٩٣: حكاية منكرة.

(٣) انظر صفحة ٢٩٦.

(٤) تقدم هذا القول صفحة ٣٦١ من قول السَّرِي.

قال: الرجاءُ قوّةُ الخائفين[١].

أفضلُ البكاء بكاءُ العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة.

قال عبد العزيز البلخي رحمه الله: سمعتُ أحمد بن أبي الحواري رحمه الله يقول: من نظرَ إلى الدنيا نظرَ إرادةٍ وحبٍّ لها، خرجَ نورُ اليقين والزهد من قلبه[٢].

وحالاتُهُ ومقاماتُهُ وكلماته كثيرة؛ لكن اكتفينا بهذا القدرِ لئلا يطولَ الكلام.

اللهم أنزل عليه شآبيبَ رحمتك، ولا تحرمْنا يا إله العالمين ويا مُجيبَ دعوة الخائفين منَّا من عفوك ومغفرتك.

* * *

(١) في (أ): الرجاء قوتُ الخائفين.

(٢) تقدم صفحة ٣٦١ من قول السري.